ملك الشعر المرهق

« أنا يا صديقة، مرهق حتى العياء ، فكيف انت؟
وحدي أمام الموت، لا احد سوى قلقي، وصمتي. »
[عبد السلام عيون السود]

لا الدمعُ ما أحكي ، ولا شعر الرثاء
الدمعُ مهزلةٌ تدور على قبور الأصدقاء .
غمرَ التراب صديقنا عبد السلام ؛
دفنوه في رأد النهار
تحت الضحى ، والشمسُ ذوبٌ من نُضار ،
ومشت على أعراقه قَدَمُ البلى ، قدمُ العفاء .

★

الموتُ يقبضُ قلبَ شاعرنا الصديق ،
وقصيدَه الفذَّ العميق ؛
وتلاوةً للشعر ، أيّ تلاوةٍ ، كفم الربيع ،
كَيَدِ الصباح،
تندَى ، وتورق بالعطاء ...
يمتصُّها عرقاً فعرقاً ، في الثرى ، دود الفناء ...
لا شعرَ بعد اليوم يُنظم ، يا رفيق .

★

لا الدمع ما أحكي ، ولا شعر الرثاء ،
الدمع مهزلة تدور على قبور الاصدقاء :
خانتك أنفاسُ الحياة
وكنتَ تطرب للحياة ...
وحُرمتَ ، حتى الخبزَ ، والبيتَ المظلل في الليالي الحالكات.
— الخبز — مطلبنا الحقير — كما تقول ،
عن مطمحي أضحى بعيداً ، ليس تدركه العقول !
وغَذَتك آلامُ الحياة
وغَذَاك هذا العيشُ خُبزَ النائبات !
يا بؤسه — كالموت أسود — لا تسوّغه البطون .
وهَزُلتَ — عمرَكَ — ، واغتديتَ إزاءنا الشبحَ الكئيب
في ليله يتلامح الموتُ القريب ...
فحياته ليلٌ طويل
ويجفنه حلمٌ ثقيل
كالشوك شُدَّ عليه ، حتى ما يُضيء له النهار !
فالموت فكرته الفريدةُ ، لا الحياة ؛
ويخال أن الموتَ ، موتُ الكائنات ...

★

يا شاعري ! كم كنت تخشى الموتَ — وهو صنيع أعداء الحياة!
الموتُ عدلٌ ، لو مضَت عدلاً بنا ، هذي الحياة .
ولكم أرى هذا الرَّدى ، دربا نجوزُ ، بلا عذاب ،
إلا الحياة ،
بناؤها : همٌّ ، وشغلٌ ، واضطراب ...

★

يا شاعري ، والراحة الكبرى وسادُك في التراب :
خلّفت إنساناً يناضل للحياة ...
ويكافحُ الموتَ الذي تخشاه ، صُلباً لا يهاب .
يا شاعر الموت الغَريد :
الشعر بعدك للمُنَى ، للعيش ، للأمل الوليد
للطفل — طفلك — للسلام ،
للأمهات ، وللشعوب ، وللصداقة في الأنام...

★

يا شاعر الموت الحزين
لو كان — يا عبد السلام — لعيشنا هذا الأنين !
ولكم هجوتَ الموتَ في ظل الحياة ؟
لم تَهجُ أعداءَ الحياة ،
من جرَّعوك الموتَ ، والداء الدَّفين
ولأخوةٍ لك ، عاملين مُعذَّبين
ومزَّقين بجزمة المستعمرين !
الموتُ للطُّغيان ، للمستعمرين .
والعيش للانسان ، كان
عملاً ، وحباً للحياة ؛
حباً لعبد الله [1] ، والأطفال ، والغد ، والسلام
حقداً على الموت العدوّ ، على الطُّغاة ...

★

يا شاعراً ، غنّى ظلامَ الموت ، والشعر الكئيب :
الشعبُ يُنشد شعرنا ، للعيش ، للفجر القريب .

حمص — **نصوح فاخوري**

(١) عبد الله : ولد الشاعر الفقيد .